وسار وراءهم

لما خرج بنو إسرائيل من مصر "كان الرب يسير **أمامهم** نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهاراً وليلاً" (خر١٣:٢١). وكثيراً ما حرص الله في مواضع عديدة على أن يؤكد أنه الرب السائر أمام شعبه: "فاعلم اليوم أن الرب إلهك هو العابر **أمامك** ناراً آكلة" (تث٩:٣)، "الرب إلهك هو عابر **قدامك**" (تث٣١:٣)، "والرب سائر **أمامك**. هو يكون معك" (تث٣١:٨). "أنا أسير **قدامك** والهضاب أمهد" (أش٤٥:٢). ولعل هذا يذكرنا بقول السيد المسيح عن نفسه: "ومتى أخرج خرافه الخاصة يذهب **أمامها**" (يو١٠:٤).

إذاً الله العابر والسائر أمام شعبه هو: (١) الله الراعي الصالح الذي يمهد الطريق أمامنا ويهدينا فيه بضياء نور وجهه. (٢) الكلمة المتجسد الذي عبر أمامنا الموت وكسر شوكته حتى إذا عبرنا نحن وراءه لا يسود علينا الموت بعد. (٣) ابن الله الذي صار مجرباً في كل شيء مثلنا حتى يقدر أن يعين المجربين السائرين وراءه. (٤) المسيح المتأنس لكي يعطينا مثالاً وقدوة "فإن المسيح أيضاً تألم لأجلنا، تاركاً لنا مثالاً لكي تَتَّبِعوا خطواته" (١بط ٢: ٢١)، "لأني أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعتُ أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً" (يو ١٣: ١٥)، "فكونوا متمثلين بالله كأولاد أحباء " (أف ٥: ١).

لعل هذا ما أدركه داود عن مفاعيل سير الله أمام شعبه فقال: "جعلت الرب **أمامي** في كل حين" (مز١٦:٨)، وهو بعينه ما أدركه موسى النبي فتمسك به بشدة متوسلاً إلى الله: "إن لم يسِر وجهك فلا تصعدنا من هنا" (خر٣٣:١٥).

لكن ماذا عن سير الله **وراء** شعبه؟! هذا ما ذكره الكتاب المقدس قائلاً: "فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر إسرائيل **وسار وراءهم**. وانتقل عمود السحاب من أمامهم ووقف **وراءهم**. فدخل بين عسكر المصريين وعسكر إسرائيل وصار السحاب والظلام وأضاء الليل فلم يقترب هذا إلى ذاك كل الليل" (خر١٤: ١٩-٢٠). هو أيضاً ما حدث عندما: "ألزم يسوع تلاميذه أن يدخلوا السفينة **ويسبقوه** (أي يأتي وراءهم) إلى العبر حتى يصرف الجموع" (مت١٤:٢٢). إذاً السؤال الذي يطرح نفسه هو متى ينتقل الله من السير أمامنا إلى السير وراءنا؟ متى يلزمنا الله أن

نسبقه آتياً وراءنا؟ إن الحالتين متشابهتين ففي الحالة الأولى كان العدو متعقباً شعبه طالباً فناءه، وفي الحالة الثانية كانت السفينة "قد صارت في وسط البحر معذبة من الأمواج لأن الريح كانت مضادة" (مت١٤: ٢٤). إذاً الله السائر وراء شعبه هو الله المقاتل عنه ضد العدو، والحافظ له في كل تجاربه.

لكن الإنسان الرازح تحت آلامه إذ لا يعود يرى الله سائراً أمامه في وقت التجربة يشكو مع أيوب قائلاً: "هأنذا أذهب شرقاً فليس هو هناك وغرباً فلا أشعر به، شمالاً حيث عمله فلا أنظره. يتعطف الجنوب فلا أراه" (أي٢٣: ٨-٩). إنه إذ لا يدرك أن الله انتقل ليسير خلفه حارساً إياه يظن أنه حجب وجهه وتخلى عنه.

ليت الله يفتح عيوننا فنراه سائراً أمامنا ووراءنا وعندئذ نتهلل مع داود قائلين: "من **خلف** ومن **قدام** حاصرتني" (مز١٣٩: ٥).